المدرسة الطبية في عهدها الاول

على ذكر مرور مائة سنة على انشائها

واجتماع المؤتمر الطبي في دسمبر القادم

كان علم الطب قد اهمل في القطر المصري قبل ايام العزيز محمد علي باشا بسنين كثيرة وكان الناس متروكين الى رحمة الحلاقين والمنجمين اولئك يزفون دمائهم بالفصادة والحجامة وهؤلاء يوهمون عليهم بخزعبلاتهم المختلفة. ورأى العزيز انهُ لا يستطيع ارغام الدجالين على ترك صناعتهم ما دام جمهور الشعب معتقداً بهم ومعتمداً عليهم ولا يستطيع ان يقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك فعزم على نشر العلوم والمعارف في البلاد لان الظلمة تزول بانتشار النور فانشأ فيها بيوت العلم المختلفة وفي ايامهِ نهضت مصر من حضيض الجهل والذل الى اوج العلم والمجد

ولما نظم امر جنودهِ اهتمَّ بأمر صحتهم فاستحضر لهم الاطباء من اوربا واقامهم لخدمتهم. وسنة ١٨٢٥ احضر الدكتور كلوت من فرنسا وجعلهُ رئيس اطباء الجيش المصري فلم يكد يصل الى مصر حتى وجد الخلل في الادارة الطبية لانهُ لم يكن فيها قوانين للاطباء تعرفهم واجباتهم وحدودهم فأشار على بوزاري طبيب محمد علي باشا باتباع القانون الفرنسوي في امر الاطباء وبأنشاء مجلس للصحة يكون هو (بوزاري) رئيساً لهُ. وكان بوزاري من الرجال الكرماء المخلصين لاسيادهم ولكنهُ لم يخلُ من الانرة ومحبة الذات فعرض الامر على مسامع العزيز وبعد قليل أنشئ مجلس الصحة وكان فيهِ ثلاثة اعضاء برأسهم بوزاري واما كلوت فلم يكن منهم. واجتمع هذا المجلس اجتماعهُ الاول في الخانقة (على سبعة اميال من مصر) وذلك في ٢٥ مارس سنة ١٨٢٥ واعطاهُ العزيز السلطة المطلقة في امر الاطباء فكتب الى كلوت بعينهُ في وظيفتهِ وبعد اشهر قليلة عين كلوت ولويجي ألسندري (صيدلاني صيدلية القلعة) عضوين فيهِ ولم يلبث كلوت ان دخل هذا المجلس حتى ادخل اليهِ النظامات الصحية الفرنسوية واستعان بهِ على أهل المفاسد الذين وقفوا لهُ بالمرصاد. ثم وجَّه اهتمامهُ الى تنظيم احوال الجيش الصحيَّة في السلم والحرب فنظمها بحسب النظامات الفرنسوية. وكان اطباء الجيش يلبسون الملابس الرسمية كضباطهِ وتُوجَّه اليهم الياشين والقاب الشرف مثلهم

كلوت بك منشىء المدرسة الطبيه بمصر

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٢٨١

وكان مقام الجنود في الخانقة فعزم كلوت على انشاء مستشفى لهم ووجد بالقرب من ذلك المكان بناء رحباً كان تكنة للفرسان فاستخدمهُ لهذه الغاية ووضع فيهِ مرضى الجيش فقط في اول الامر ثم جعلهُ عمومياً لجميع المرضى فتكللت اعمالهُ بالنجاح. وحينئذٍ خطر لهُ أن ينشىء مدرسة طبية بجانب هذا المستشفى رجاء ان يخرج من هذه المدرسة ضباط صحة للجيش من اهل الوطن وعرض الامر على مسامع العزيز فاستصوبهُ وأمرهُ ان يشرع فيهِ فأنشئت المدرسة بابي زعبل

ورأى كلوت صعوبات كثيرة تعترضهُ ولكنهُ كان رجلاً حازماً اذا رأى الصعوبة قاومها بكل عزمهِ حتى يتغلب عليها . والصعوبة الاولى التي اعترضتهُ كانت مسئلة اللغة لان الاساتذة الذين عزم على استخدامهم لايعرفون العربية والتلامذة لايعرفون الفرنسوية ولا الايطالية وحسب انهُ يضيع الوقت بتعليمهم لغة من هاتين اللغتين استعداداً لدرس الطب بها فلم يرَ لهُ بدًّا من اقامة المترجمين بين الاساتذة والتلامذة . والصعوبة الثانية هي ان اهالي مصر كانوا يعتقدون ان تشريح اجساد الموتى ممنوع دينيًّا فتباحث مع مشايخ الدين في هذه المسألة ولحسن الاتفاق اقنعهم بان درس التشريح وتشريح الموتى غايتها من احمد الغايات الا وهي حفظ الاحياء ولا يمكن لاحد ان يمهر في صناعة الطب ما لم يدرس علم التشريح على هذه الصورة . وكان عزيز مصر عارفاً بحقائق الامور ومترفعاً عن التعصبات الدينية ولكنهُ لم يشأ ان يأخذ الأمور بالعنف فلم يرخص لكلوت بتشريح الموتى ترخيصاً صريحاً ولكنهُ وعدهُ بأن لايعترضهُ احد اذا سار بالحكمة

والتلامذة انفسهم نفروا في أول الامر من تشريح الموتى ولكنهم الفوهُ بعد حين وصاروا يشرحون عن طيب نفس ورغبة في العلم . ولولا كلوت ما امكن للوطنيين ان يقدموا من انفسهم على تشريح الموتى لان مدارس الخلفاء الاولين لم تفعل ذلك مع ما بلغتهُ من الشهرة والحرية في البحث والتعليم

ومما يذكر بالاسف والاستغراب ان احد التلامذة دنا من الدكتور كلوت وهو في فرقة التشريح وطعنهُ بخنجر في رأسهِ فلم يصبهُ فطعنهُ ثانية في جوار بطنهِ فلم يصبهُ ايضاً عكروه وللحال بادر بقية التلامذة الى هذا التلميذ وحالوا بينهُ وبين استاذهِ

ولما تغلب كلوت على كل المصاعب عُيِّن مديراً للمدرسة الطبية وذلك في غرة سنة ١٨٢٧ بعد ان نسجت عناكب النسيان على المدارس الطبية العربية مدة خمسمائة عام . فاختار لها الاساتذة من الفرنسويين والايطاليين وهذه اسماؤهم ومناصبهم

غايتاني مدرس التشريح العام والوصفي والباثولوجي والفسيولوجيا
برنار مدرس الهيجين الخاص والعام والسكري والطب الشرعي
دڤيڤيو مدرس الباثولوجيا والكليفيك الباطنين
كلوت مدرس الباثولوجيا والكليفيك الباطنين الجراحيين والعمليات وفن الولادة
برتلمي مدرس المواد الطبية والڤرابيوتيا وعلم وصف الادوية وعلم السموم
سلزيا مدرس الكيمياء والطبيعيات
تفاري مدرس النبات ومدير البستان النباتي
لسبرزا محضر دروس التشريح والروامز التشريحية والباثولوجية

وسلم المستشفى لهؤلاء المدرسين وتلامذتهم لكي يطببوا المرضى فيه ويدرسوا سير الامراض وطرق علاجها . واختار انفس الكتب المستعملة حينئذٍ في اوربا لتدريس صناعة الطب وكان التلامذة مقسومين الى عشر فرق وجعل النجيب الانجب في كل فرقة عريفاً لها وهذه هي الطريقة التي اختارها للتدريس

(١) يترجم الدرس الى العربية في حضرة المدرّس وهو يشرح كل الامور الغويصة للترجمان . (٢) يقرأ الدرس بالعربية على مسمع التلامذة وهم يكتبون في دفاترهم ما يذاكرهم به . (٣) يشرح المدرّس للتلامذة كل ما يعسر عليهم فهمهُ . وكان مباحاً لعريف الفرقة ان يطلب زيادة الايضاح في كل فروع الدرس . (٤) يطلب من العريف ان يراجع الدرس لتلامذة فرقته . (٥) يمتحن التلامذة كل شهر في الدروس التي درسوها ذلك الشهر وحينئذٍ يختار ابرع التلامذة ويجعلون عرفاء لفرقهم . ولهذا النظام مزيتان الاولى حث التلامذة على العمل والثانية القاء المنافسة الشريفة بينهم حتى يطلب كل منهم ان يفوق اقرانهُ . واضيف الى المدرسة الطبية مدرسة اخرى لتعليم اللغة الفرنسوية وأُجبر طلبة الطب كلهم على درس هذه اللغة حتى اذا اكملوا دروسهم الطبية وخرجوا من المدرسة استطاعوا ان يطالعوا كتب الطب الفرنسوية ويعرفوا كل ما يجدُّ فيه . الاّ ان هذه المدرسة البيت بعد حين

وسنة ١٨٣٢ اختار الدكتور كلوت اثني عشر تلميذاً من انجب التلامذة وسار بهم الى باريس وقدمهم الى الجمعية الطبية الطبية فاختبرت لجنة لامتحانهم من اشهر اطبائها برآسة الدكتور اورفلا وجرى ذلك باحتفال عظيم بحضره طبيب الملك الخصوصي وجم غفير من الامراء والاطباء والعلماء وحُصرت المسائل في المواد الآتية وهي (١) الكلام

على المخ والاذن الباطنة والعين وخصوصاً البلورية والكترکتا والعملية اللازمة لها. (٢) الكلام على الملتحمة وامراضها. (٣) الكلام على القناة الارية والفتق الاربي والعملية اللازمة لهُ. (٤) الكلام على الفجان وعنق المثانة واسباب الحصاة واعراضها وعمليتها على طريقة كلوت بك. (٥) شرح المفاصل الكتفية العضدية وخلع العضد وردده. (٦) الكلام على جروح الاسلحة النارية التي تستدعي عملية البتر وشرح هذه العملية. (٧) الكلام على تشريح الكبد وشرح تاريخ الالتهاب الكبدي

ويظهر من ذلك ان الدكتور كلوت بك كان يهتم بنوع خاص بالامراض والآفات التي تكثر في القطر المصري ويخرّج تلامذتهُ فيها حتى يزيد نفعهم لوطنهم. ويظهر من اجوبتهم انهم كانوا قد فهموا حقيقة ما تعلموهُ وقرنوا العلم بالعمل وان لجنة الامتحان سرّت بما اجابوا بهِ ولذلك قام كاتبها وهنأهم بفوزهم وامّل ان يعود بهم عصر ابن سينا والرازي وابي القاسم

وفي سنة ١٨٣٧ نقلت المدرسة الطبية من ابي زعبل الى القاهرة وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن الولادة وأُنشئت مستشفيات كثيرة في مدن القطر واستعمل تطعيم الجدري فقلّ انتشارهُ في القطر المصري وكان يفتك قبل ذلك بستين الفاً من الاطفال كل سنة. ولما انتشر الطاعون سنة ١٨٣٠ كان يموت بهِ في القاهرة وحدها الفا نفس كل يوم فقام هو وتلامذتهُ لمقاومتهِ ومعالجة المصابين بهِ الى ان تقشعت غيومهُ من سماء القطر فسرَّ العزيز من اعمالهِ وانعم عليهِ برتبة بك ولم تكن تعطى لمثلهِ. ثم فشا الطاعون سنة ١٨٣٥ فنهض هو وثلاثة من الاطباء لمقاومتهِ وكان يعتقد انهُ غير معدٍ وطعّم نفسهُ بدم الخراج امام تلامذتهِ اثباتاً لقولهِ وتشجيعاً لهم ومكث على هذه الحالة باذلاً جهدهُ في معالجة المرضى ستة اشهر فبعث العزيز يشكرهُ على ذلك وانعم عليهِ برتبة جنرال

وذهب بلاد الشام لما دخلها الشهير ابرهيم باشا وزار دمشق وبيروت وصيداء وعكاء وحيفا وجبل الكرمل وتوجّه الى الناصرة لما كان الطاعون فيها وزار نابلس وبيت المقدس وغزة وطبب المرضى وابقى لهُ في الشام ذكراً جميلا

ولما تولى المرحوم عباس باشا انقلت مدرسة الطب وعاد الدكتور كلوت بك الى فرنسا وبقي فيها الى ان تولى المرحوم سعيد باشا فعاد الى مصر ليعيد المدرسة الطبية الى ما كانت عليهِ من الانتظام ونجح في ذلك النجاح التام وبقي في القطر المصري الى سنة ١٨٦٠ وحينئذٍ عاد الى مرسيليا وطنهِ واقام فيها الى حين وفاتهِ سنة ١٨٦٨